فصل في الشيخ حسن

ذُكر اسمه في الكتاب الأسود «مصحف رش» على أنه ثاني الآلهة السبعة عندهم، ويسمى أيضًا دردائيل، وورد في الزيادات الملحقة منعوتًا بالبصريِّ، وأن له قبَّة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي، ومن نسله شيخهم الأعظم، وقد بحثنا في كتب التراجم عمن اشتهر بالحسن البصري — غير التابعي المشهور — فلم نعثر إلا على واحد، ولكن ليست له صلة بهم، ترجمه ابن تغرى بردى في المنهل الصافي فقال: «جعفر بن علي بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمَّر شرف الدين الموصليُّ المقرئُّ المعروف بالحسن البصريِّ، مولده بالموصل في سنة أربع وستمائة، وكان شيخًا فاضلًا عارفًا حافظًا للأخبار والشعر والأدب، ذكره الحافظ علم الدين البرزاليُّ وقال: سمع من السُّهروردِيِّ كتاب العوارف بالموصل، وسمع بدمشق من ابن الربيديِّ وبمصر من ابن الجميزيِّ وبالثغر من ابن رواح، وتوفي بدمشق سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة رحمه الله.» قلتُ: وصاحب الترجمة يلتبس على مَن لا يعرف التاريخ بالحسن البصريِّ التابعيِّ المشهور المتوفى سنة عشر ومائة. انتهى.

وأما الشيخ حسن المذكور في كتاب اليزيدية فلم ينعته أحد غيرهم بالبصري، وهو من آل عدي بن مسافر وأحد خلفائه عليهم، وفي زمنه دبَّ الفساد والزيغ فيهم، وله ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر، قال فيها عن نسبه: «الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الملقَّب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد، وجدُّه أبو البركات هو أخو الشيخ عدي.» وقد تقدم في نسب الشيخ عدي أنه عدي بن

مسافر بن إسماعيل[1] ... إلخ، فالصواب أن يقال في نسب الشيخ حسن: «وجده أبو البركات ابن أخي الشيخ عدي.» أو «وجده صخر أخو الشيخ عدي»، أي جده الأعلى. وفي تحفة الأحباب للسخاوي في ترجمة الشيخ عدي: «وظهرت له مناقب ومآثر هناك إلى أن كثر أصحابه وأولاد أخيه الشيخ العارف صخر بن مسافر، فتوفي الشيخ عدي هناك سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وتخلَّف بعده أخوه صخر، وتفرَّق أولاده في البلاد، وأقبل إليهم العباد فنزل منهم بالموصل الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي المفاخر عدي بن أبي البركات بن صخر أخي عدي بن مسافر الملقَّب بتاج العارفين أبي محمد شيخ الأكراد. وجده هو أخو عدي بن مسافر.»

ثم قال ابن شاكر عن الشيخ حسن: «وكان شمس الدين من رجال العالم رأيًا ودهاء، وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه، قال الشيخ شمس الدين الذهبي: بينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفرق، وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قَدِم عليه واعظٌ فوعظه حتى رقَّ قلبه وبكى وغشي عليه، فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه، ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحط في دمه، فقال: ما هذا؟ فقالوا له: أيش هذا الكلب حتى يُبكي سيدنا الشيخ، فسكت حفظًا لدسته وحرمته، وخاف منه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوتر في قلعة الموصل خوفًا من الأكراد؛ لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده، فخشي أن يأمرهم بأدنى إشارة فيخربوا بلاد الموصل، وفي الأكراد طوائف إلى الآن يعتقدون أن الشيخ لا بدَّ أن يرجع، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجه، وما يعتقدون أنه قتل، وكانت قِتلته سنة أربع وأربعين وستمائة وله من العمر ثلاث وخمسون سنة.»

وترجمه أيضًا ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب، وساق نسبه كما تقدم، ونعته بشيخ العدوية الأكراد، وذكر عنه ما ذكره ابن شاكر، ثم أورد عبارة للذهبي عدَّد له ولجماعته فيها منكرات، وختمها بما معناه: «إن كان هذا طريق الجنة فأين إذن طريق النار؟»

[1] هذا ما أجمع عليه المؤرخون في نسبه، وجاء في مادة «هكر» من شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي أنه: «عدي بن صخر بن مسافر» وعليه يصح ما قاله ابن شاكر غير أنه قول تفرَّد به الزبيدي مخالف للنصوص العديدة التي اطلعنا عليها.

وترجمه ابن طولون الحنفي الصالحي في ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر استطرادًا في ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدوي، فذكر ما ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات، وزاد في آخر الترجمة أنه اختلى ستَّ سنوات صنَّف فيهم كتاب الجلوة لأرباب الخلوة، وأنشد من شعره:

وصرت فردًا بلا ثانٍ أقوم به وأصبح الكلُّ والأكوان تفخر بي
وكلُّ معنايَ معناها وصورتها كصورتي وهي تدعى ابنتي وأبي

والظاهر أنه أقيم خليفة عليهم بعد أبيه عدي بن أبي البركات، أما أول خليفة عليهم بعد الشيخ عدي الكبير، فالذي يُعْلَم من عبارة السخاوي في تحفة الأحباب المتقدم ذكرها أنه أخوه صخر، وإذا صح هذا، فالظاهر أنه أقيم عليهم وهو في بلدتهم بيت فار بالبقاع بالشام، فإنَّا لم نقف على أنه هاجر إلى أخيه بلالش، والذي صرح به اللخمي في بهجة الأسرار في مناقب السيد عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أن أول من أقيم خليفة على هذه الطائفة بعد الشيخ عدي ابن أخيه أبو البركات بن صخر بن مسافر، وقد ذكر السخاوي هجرته إليه بقوله بعد العبارة المتقدمة: «وقد نزل الشيخ أبو البركات بن صخر أبو هذه الذرية عند عمه عدي بن مسافر بالمكان المعروف بلالش في جبل الهكَّارية.» ويستخلص من ترجمته في بهجة الأسرار[٢] أنه هاجر إلى عمه الشيخ عدي من بيت فار من أرض بقاع العزيز إلى جبل هكَّار، وصحبه وخلفه بعد وفاته بزاويته بلالش، وكان الشيخ عدي في حياته يثني عليه ويقدِّمه ويقول فيه: «أبو البركات ممن دُعي في الأزل وكان من السابقين إلى الحضرة.» ويقول فيه أيضًا: «أبو البركات يخلفني.» وسكن أبو البركات بلالش إلى أن مات مسنًّا ودفن عند عمه، وقبره ظاهر يزار وتخرَّج عليه ولده عدي بن أبي البركات، وكان مثله في المناقب والفضائل. انتهى. وسائر ما في الترجمة مناقب وكرامات وكلمات مأثورة عنه في التصوف.

[٢] ترجمه في هذا الكتاب فيمن استطرد إلى تراجمهم من مشايخ الصوفية.